

## سابعاً: المسؤولية

obeikandi.com

## الحديث الثامن والعشرون: الراعي يُسأل عن رعيته

عن يونس عن الزهري قال : أخبرنا سالم بن عبد الله ، عن ابن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسؤول عن رعيته - قال : وحسبت أن قد قال : والرجل راع في مال أبيه ، ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» .

### - تخريج الحديث:

- صحيح البخاري بحاشية السندي م ١ ، ج ١ ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ص ١٦٠ ، ط دار المنار ، فتح الباري م ٢ ، كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن ص ٣٨٠ ، باب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، كتاب الوصايا .

- صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ، كتاب الإمارة - فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ، ص ٢١٣ .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٢ ، ص ١٢١ .

- الآداب لأبي بكر أحمد البيهقي ، باب الراعي يُسأل عن رعيته ، ص ٧٢ .

### - المعاني اللغوية والبلاغية:

رَعَى رِعَايَةً الأميرُ رَعِيَّتَهُ : ساسها وتدبر شؤونها .

ورَعَى الأمرَ : حفظه .

الرَّعِيَّةُ : الجمع رِعَايَا : القوم ، عامة الناس الذين عليهم راعٍ .

رعية ورعايا الملك : الخاضعون لأوامره .

سَأَلَ : طلب ، أَسْأَلَ سُؤْلَهُ وَسُؤْلَتُهُ وَمَسْأَلَتُهُ : قضى حاجته .

المَسْئُولِيَّةُ : ما يكون به الإنسان مسؤولاً ومطالباً عن أمورٍ ، أو أفعالٍ أتاها .

الإمام : أي ذو الخلافة العظمى ومثله سائرُ ولاية الأمور .

أهله : يطلق الأهل ويراد به زوجة الرجل أولاً . كقول أسامة في حديث الإفك (أهلك يا رسول الله) ، والأهل كذلك تطلق على من تلزمه نفقته شرعاً كقوله تعالى : ﴿إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ، وفي قصة أيوب ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ وكانوا زوجته وولده .

والمطلوب أن يكون كل واحد تحت رعاية من يرعاه ويسأل عنه في الدنيا والآخرة .

#### - المعنى العام :

إن من نعم الله تعالى على البشرية أنه كرمها بالعقل والإدراك والقدرة والإرادة وحملها بالمسؤولية والأمانة ، وارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والمسؤولية .

وإن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعاً دقيقاً لتنظيم الحياة الاجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كل حسب مهمته وواجباته ، فبدأ بالإمام . «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته» ، والإمام هو المسؤول الأول في الدولة الإسلامية ، وقد أوجب الإسلام عليه أن يقوم بواجبات تمثيل الأمة والوكالة عنها ، وفي مقابل ذلك أوجب الإسلام على الأمة تجاهه بعض الواجبات هي كالحقوق له عليهم ؛ لأن كل واجب لا بد أن يقابله حق والعكس .

ونظرًا لأن هذه المسؤولية عظيمة والأمانة ثقيلة، فقد حدد العلماء هذه المسؤولية والتي تقع على كاهل الإمام وهو يُسأل عنها. وقد حدد الماوردي عشرة واجبات رأى أن الإمام ملزم بأدائها، ووافقه على ذلك معظم العلماء الآخرين:

- ١ - حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة.
- ٢ - تنفيذ الأحكام بين المشاجرين وقطع الخصام بينهم حتى تظهر النصفة.
- ٣ - حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعاش ويتشروا في الأسفار آمنين.
- ٤ - إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من الإتلاف والاستهلاك.
- ٥ - تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بثغرة ينتهكون بها محرما، ويسفكون فيها دما لمسلم أو معاهد.
- ٦ - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة.
- ٧ - جباية الفياء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًّا واجتهادًا من غير عسف.
- ٨ - تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف، ولا تقصير فيه ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.
- ٩ - استكفاء الأمانة وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة.
- ١٠ - أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتفحص الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة، أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناصح، وقد قال تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك

خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن  
سبيل الله ﴿١﴾. فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة،  
وقد قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ﴿٢﴾.

ومسؤولية الإمام مسؤولية ضخمة وأمانة ثقيلة، قال النبي ﷺ: «من ولي من  
أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان  
الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم في صحيحه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى  
رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين».

فيجب البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار من الأمراء  
الذين هم نواب ذي السلطان والقضاة، ومن أمراء الأجناد، ومقدم العساكر  
والكبار، وولاة الأموال من الوزراء والكتاب والشادين ﴿٣﴾، والسعاة على الخراج  
والصدقات وغير ذلك من الأموال التي للمسلمين، وعلى كل واحد من هؤلاء  
أن يستنب و يستعمل أصلح من يجده وينتهي ذلك إلى أئمة الصلاة،  
والمؤذنين، والمقرئين، والمعلمين، وأمراء الحج، والعيون الذين هم القصاد،  
وخزائن الأموال، وحراس الحصون، ونقباء العساكر، وعرفاء القبائل  
والأسواق، ورؤساء القرى.

فيجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم أن يستعمل  
فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه.

---

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ص ١٨.

(٣) الشادين: جمع شاد، ووظيفته: استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه، أشبه  
بعمل المحضر الآن.

فإن عدل عن الحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو موافقة في بلد، أو مذهب، أو جنس كالعربية والفارسية، أو الرشوة يأخذها منه من مال، أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢). فإن الرجل لحبه لولده، أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه ما لا يستحقه أو محابة من يداهنه في بعض الولايات، فيكون قد خان الله ورسوله وخان أمانته.

وقد دلت سنة رسول الله ﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها في مواضع مثل ما تقدم، ومثل قوله لأبي ذر - رضي الله عنه - في الإمارة: «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» رواه مسلم.

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». وقد أجمع المسلمون على معنى هذا، فإن وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح، فالأصلح كما قال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣). ولم يقل إلا بالتي هي حسنة، وذلك لأن الوالي راع على الناس بمنزلة راعي الغنم، كما قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته . . . إلخ».

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) سورة الأنفال: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء: ٣٤.

وقال ﷺ: «ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة» رواه مسلم (١).

«والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته»، فقد عني الإسلام بالأسرة عناية خاصة، وجعل منها أساس المجتمع، وحتى يتحقق هدف الإسلام في بناء الأسرة على أساس متين، فقد وزع المسؤولية والأعمال تنظيمًا جميلًا ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى، مع تحديد الواجبات والمسؤوليات على كل من الرجل والمرأة.

فالرجل راع على أهل بيته، فمن أوجب واجباته أن يسعى ويكد وينهض بالكسب، وما يحتاج إليه البيت من مال ونفقة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ (٢)، أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾، أي لأن الرجال أفضل من النساء، ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾، أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لمن في كتابه وسنة نبيه، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيماً عليها كما قال الله تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ الآية. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يعني أمراء عليهن، أي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله (٣).

(١) راجع كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية. القسم الأول، تولية الأصل باختصار وتصرف.

(٢) سورة النساء: ٣٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١م، سورة النساء ص ٧٤٢ (ضبط حسين بن إبراهيم زهران).

والمنهج الرباني يراعي في هذه المسؤولية الفطرة والاستعدادات الموهوبة لشطري النفس لأداء الوظائف المنوطة بكل منهما وفق هذه الاستعدادات ، كما يراعي به العدالة في توزيع الأعباء على شطري النفس الواحدة ، والعدالة في اختصاص كل منهما بنوع الأعباء المهيأة لها ، فقوامه الرجل ومسؤوليته مقدمة ؛ لأن الله تعالى زوده فيما زود به من الخصائص بالخشونة والصلابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة لتدبير المعاش وسائر التكاليف في الحياة ؛ لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام وخصائصه الفطرية تجعله أقدر على القوامه ، وأفضل في مجالها ، كما أن تكليفه بالإنفاق وهو فرع من توزيع المسؤوليات يجعله بدوره أولى بالقوامه ؛ لأن تدبير المعاش للأسرة ومن فيها داخل في هذه القوامه ، والإشراف على تصرف المال فيها أقرب إلى طبيعته ووظيفته .

ومن أبرز مسؤوليات الرجل في أهله أن يبحث عن المرأة الصالحة ؛ لأن الإسلام دين أسرة ، ومن ثم يقرر طبيعة المؤمن في أسرته وواجبه في بيته ؛ لأن البيت المسلم قلعة من قلاع التربية ، ولا بد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها ، حصينة في ذاتها ، كل فرد فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها . عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : «إن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (١) .

إن الأصل في الرابطة الزوجية هو الاستقرار والاستمرار ، والإسلام يحيط هذه الرابطة بكل الضمانات التي تكفل استقرارها واستمرارها ، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية يلقي المسؤولية على الرجل . قال تعالى : ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن

---

(١) سنن النسائي ، شرح السيوطي وحاشية السندي ، ج ٦ ، ص ٦٨ .

كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً<sup>(١)</sup>، فيحمل الرجال مسؤولية التريث والمصابرة حتى في حالة الكراهية ويفتح لهم تلك النافذة المجهولة ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ فما يدرهم أن في هؤلاء النسوة المكروهات خيراً، وأن الله يدخر لهم هذا الخير فلا يجوز أن يقتلوه. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» متفق عليه.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» رواه أحمد ومسلم<sup>(٢)</sup>.

والإسلام يبين معالم اختيار الزوجة ويوضح معادنها. عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قيل لرسول الله ﷺ: «أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وما لها بما يكره»<sup>(٣)</sup>.

ومن مسؤولية الرجل أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله وزوجته؛ لأن البيت المسلم هو نواة الجماعة، ونواة البيئة الإسلامية، وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي (المجتمع الإسلامي)، ومن ثم كان القرآن يتنزل للرجال والنساء، وكان ينظم البيوت وقيمها على المنهاج الإسلامي، وكان يحمل المؤمنين مسؤولية أهليهم كما يحملهم تبعة أنفسهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية (١٩).

(٢) نيل الأوطار، للشوكاني، ج ٦، (باب إحسان العشرة وبيان حق الزوجين).

(٣) سنن النسائي، ج ٦، ص ٦٨.

(٤) سورة التحريم: ٦.

«والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»، وهنا أمر ينبغي أن يدركه المربون والدعاة من المسلمين والمسلمات . إن أول الجهد ينبغي أن يوجه للبيت ثم إلى الزوجة ، إلى الأم ، ثم إلى الأولاد وإلى الأهل بعامه ، ويجب الاهتمام البالغ بإيجاد التفاهم بين الزوج والزوجة لإنشاء البيت المسلم ولتربية الأولاد . والمسؤولية الأساسية تقع في هذا الميدان على المرأة الصالحة ، ولا يتأتى هذا إلا إذا أدركت المرأة مكانة الزوج وأهميته من الناحية الشرعية . عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «لو كنت امرأةً أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله من حقه عليها» . وعن أبي هريرة أيضًا : «لا تصوم المرأة وبعملها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته وهو شاهد وما أنفقت عن كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له» . وهذا الإنفاق من كسبه حمله بعض أهل العلم على إنفاقها مما أعطاه في نفقتها . وبذلك أفتى أبو هريرة (١) .

وهذه الرعاية عامة للزوج في جميع أحواله من غير استثناء . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : تنازع العلماء هل عليها أن تخدمه في مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب والخبز والطحن ، وإطعام المماليكه وبهائمته مثل علف دابته ونحو ذلك . . .

ومنهم من قال تجب الخدمة بالمعروف وهذا هو الصواب (٢) . وفي كتب السيرة والحديث أمثلة جميلة من حالة نساء الصحابة ، وكيف كن يخدمن أزواجهن ويقمن بما أوجب الله تعالى عليهن من حقوقهم . فعن أسماء بنت أبي بكر قالت : تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته ، وأسوسه ، وأدق النوى

(١) الآداب ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . باب مراعاة حق الأزواج ، ص ٦٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ج ٣٤ ، ص ٩٠ .

لناضحه، وأعلف، وأستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ. قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعاني ثم قال: أخ، أخ ليحملني خلفه، قالت: فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنني قد استحييت فمضى وجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى أشد علي من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني (١).

وبعد فهذه صورة حياة من الحياة البيئية. صورة من حياة إنسان كريم رفيع جليل عظيم، وصورة للمرأة المسلمة وأنها كيف فهمت معاني الزوجية ومعاني المسؤولية والرعاية. وكذلك فعل الإسلام بمن فقهوه وتكيفوا به، فأدى كل واحد منهم واجبه نحو الآخر من باب المودة والرحمة، ومن باب السعادة والهناء، وليس من باب القضاء والأنظمة ليبقى البيت مهياً للتربية ومعداً لتحقيق معاني الخلافة. وفي ظلال هذا الحديث الذي يشتمل على أكثر من معنى يهيب القرآن بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم في بيوتهم من التربية، والتوجيه، والتذكير، فيقوا أنفسهم وأهلهم من النار. وتنقسم المسؤولية بين الرجل والمرأة كما تقع المسؤولية الأخرى على عاتق الهيئات والمدارس لتربية الجيل تربية إسلامية شاملة، وتبدأ هذه التربية بين رعاية الأم وتوجيه الأب. فالأم تربي

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٣٤٧.

أولادها الصغار بين الحنان والرعاية الكاملة، وبين الدعابة والابتسامه وتقديم نماذج جميلة تلائم البراعم الصغيرة من الخلق الحسن، ومراعاة الآداب. وإذا ما نما الأولاد في هذا الجو الحاني يبدأ الأب يشارك مشاركة إيجابية في تحمل مسؤولية التربية. إن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله وفي أولاده تبعة ثقيلة رهية.

والأولاد في سن مبكر يحتاجون إلى الرحمة والحنان؛ أنبأنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ قبل الحسن بن علي والأقرع بن جابر التميمي عنده، فقال الأقرع بن جابر: يا رسول الله إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم إنساناً قط، قال: فنظر إليه رسول الله ﷺ قائلاً: من لا يرحم لا يرحم». والحديث لفظة تربوية جميلة يعطينا نموذجاً نبوياً كريماً لتربية البراعم الصغيرة.

عن أسامة بن زيد قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأيمن، ثم يضمنا، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما». وكذلك وردت أحاديث ترسم لنا ملامح واضحة لتربية البنات بصفة خاصة؛ عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جارتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهذي - وضم إصبعيه».

عن أيوب بن بشير الأنصاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو بنتان، أو أختان، فيتقي الله فيهن، ويحسن إليهن إلا دخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وهذه التربية وأجرها وثوابها منقسم بين المرأة والزوج، وعليهما أن يقيا أنفسهما وأولادهما من هذه النار، وعليهما أن يتبها أن لا تفوت فرصة التربية قبل فوات الأوان. وهو ﷺ قد أشار إلى هذه الفرص المطلوبة وحدد الزمن والعمر الملائم

---

(١) راجع الآداب، للبيهقي، باب في رحمة الأولاد وتقبلهم والإحسان إليهم، ص ٤٠ - ٤٩.

لذلك . عن سبرة بن مصعب الجهني قال : قال النبي ﷺ : «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» . وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوه عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع» (١) .

ومن هذه المسؤولية المشتركة بر الوالدين . ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ (٢) . وهي من المسؤوليات الشاملة في البيت والأهل .

فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها بدون حاجة إلى أي صفة أخرى وهي وصية صادرة من رب العالمين ، وتكرر هذه الوصية في القرآن وفي الحديث ، الوصية بالإحسان بالوالدين ، ولا ترد وصية الوالدين بالأولاد إلا نادرة ؛ ذلك أن الفطرة وحدها تتكفل برعاية الوالدين للأولاد رعاية تلقائية مندفعة بذاتها لا تحتاج إلى مثير . ومن هذه الوصية : «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته» ، ومن أجمل أنواع الإحسان نحو الوالدين استثمار أموالهما ورعاية أمورهما المالية والاجتماعية وتربية صغارهما ، وهم الأشقاء البراعم الصغيرة ؛ لأن الإسلام يجعل الأسرة هي اللبنة الأولى في بنائه ، والمحضن الذي تدرج فيه الفراخ الخضراء ، وتكبر وتتلقى رصيدها من الحب والتعاون ، والتكافل والبناء ، والمشاركة الإيجابية من الأخ الكبير وزوجته وأولاده .

«والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته» : واتخاذ الخادم في البيوت أمر معروف عند الأنبياء والعلماء والصالحين . قال تعالى : ﴿قالت إحداها يا أبت

(١) مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذري ، ج ١ ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ص ٢٧٠ .

(٢) سورة الأحقاف : ١٧ .

استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴿١﴾. فمراعاة الأمانة والقوة مطلوبة في استخدام الرجل والمرأة، فهذا هي بنت شبيب رأت من أمانة موسى - عليه السلام - وعفته، فتشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك، وهو قوي على العمل أمين على المال، وأمين على ما سواه. وقد استخدم أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - خادماً، وآخر لبنته أسماء، كما سبق واستخدم ﷺ خادماً، وقدم آخر لبنته فاطمة، إذا فهو أمر مشروع، ورفع الإسلام مكانة الخادم. وكان المجتمع المدني في عهد الرسول ﷺ مليئاً بالخدم والرقيق والمماليك، وكانوا يشكلون نسبة معلومة في عدد السكان، ومن هنا كان عناية الإسلام بهم كبيرة من الناحية التربوية، ومن الناحية الاجتماعية، وظل هذا الدين الرباني يعالج مشاكلهم ويرفع مكانتهم ومعنوياتهم، حتى يكونوا لينة صالحة في بناء هذا المجتمع الأخوي الخليط. عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل - عليه السلام - يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه يورثه، وما زال يوصيني بالمملوك، حتى ظننت أنه يضرب له أجلاً، أو وقتاً إذا بلغه عتقه».

عن مغيرة عن أم موسى عن علي قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم».

وقد وردت أحاديث كثيرة ترفع مكانة الخادم ومعنويته ومنها: حدثنا شعبة، حدثنا واصل الأحذب، قال: سمعت المعرور بن سويد، يقول: «رأيت أبا ذر الغفاري وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك؟ فقال: إنني ساببت رجلاً فشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: أعيرته بأمه؟ قلت: نعم. ثم قال: إن إخوانكم خولكم، جعلهم الله أيديكم، فمن كان أخوه

(١) سورة القصص: ٢٦.

تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم عليه» (١).

وعن أبي هريرة رضي - الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا صنع لأحدكم خادمه طعاماً ، ثم جاء به وقد ولي حره ودخاناه ، فليقعده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوهاً ، فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين» .

وبعد هذه المعاملة الإنسانية الكريمة الأخوية المثالية طلب الإسلام بمقابل ذلك من الخادم أن يكون أميناً على مال سيده في استثماره وحفظه وتصرفه ، وأن يراعي في ذلك معاني الأخوة والوفاء والأمانة ، ويعتبر أن المال ماله ، وأنه أحق الناس حراسة على هذا المال ، وإلى هذا يشير ﷺ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إن العبد إذا نصح لسيدته ، وأحسن عبادة الله : فله أجره مرتين» أخرجه البخاري ومسلم .

#### - فقه الحديث :

١ - «والرجل راع في أهله» ومن هنا تجب عليه كسوتها بإجماع أهل العلم فيفرض لها على قدر كفايتها على قدر يسرها وعسرهما . وما جرت عادة أمثالها من الكسوة .

٢ - وعليه لها ما تحتاج إليه للنوم من الفراش واللحاف والوسادة كل حسب عادته .

٣ - ويجب لها مسكن بدليل قوله سبحانه وتعالى : ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكْتُمْ﴾ ، ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ . ومن المعروف أن يسكنها في مسكن ويكون المسكن على قدر يسارهما وإعسارهما . فإن كانت المرأة ممن لا تخدم

---

(١) الآداب للبيهقي ، باب الإحسان إلى المالك ، ص ٦٥ - ٦٦ .

نفسها لكونها من ذوي الأقدار أو مريضة وجب لها خادم . ومن العشرة بالمعروف أن يقيم لها خادماً .

٤ - وعلى الزوج نفقة الخادم ومؤنته من الكسوة .

٥ - والزوج إذا لم يدفع لامرأته ما يجب لها من النفقة والكسوة ، أو دفع إليها أقل من كفايتها ، فلها أن تأخذ من ماله الواجب ، أو تمامه بإذنه وبغير إذنه بدليل قول النبي ﷺ هـند : « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » ، وهذا إذن لها بالأخذ من ماله بغير إذنه بقدر كفايتها وكفاية ولده (١) .

٦ - ويجب على الرجل نفقة مملوكه مما لا غنى له عنه وكسوته ؛ لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق » متفق عليه (٢) .

#### - ما يستفاد من الحديث:

١ - من واجبات الإمام أن يختار المسؤولين عن المهمات اختياراً ملائماً يراعي فيه الأمانة والصدق والإخلاص .

٢ - وعلى الإنسان المسلم أن يتحرى في اختيار الزوجة الصالحة ، ويكون نصب عينيه وصية المصطفى ﷺ « فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ .

فمن طبيعة المؤمنة الصالحة إدراك معاني المسؤولية وتقدير معاني الزوجية بحكم إيمانها وصلاحتها . ومن طبيعة المؤمنة الصالحة أن تكون حافظة لحرمة الزواج المقدس بينها وبين زوجها في غيبته وبالأولى في حضوره .

(١) المغني لابن قدامة ، ج ٩ ، فصول في النفقة ، راجع ص ٢٣٤ - ٢٥٩ .

(٢) الكافي لابن قدامة ، ج ٣ ، باب نفقة المالك ، ص ٣٨٨ .

٣ - والحديث يشير إلى تحمل مسؤولية خدمة الزوج وتربية الأولاد ورعايتهم،  
فالمرأة راعية في بيت بعلها؛ لأنها تمتاز بالبرقة والعطف وسرعة الانفعال  
والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة .

٤ - والحديث يشير إلى المعاملة الحسنة نحو الأرقاء والخدم، حتى يصلوا إلى  
مستوى الأخوة وتحمل المسؤولية والأمانة في البيت وفي المال . ويعتبروا  
أنفسهم أحد أفراد هذه الأسرة، عليهم من واجبات البناء والتعمير مثل ما  
على بقية الأفراد .

## الحديث التاسع والعشرون: العدل بين الرعية !

حدثنا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ ، عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : عَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزْنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . قَالَ مَعْقِلُ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ .  
إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رِعْيَةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرِعْيَتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» .

### - تخريج الحديث:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٣، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ح ٧١٥٠، ٧١٥١، ص ١٣٥، ١٣٦ .
- صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ح ٢٢٧، (١٤٢)، ٢٢٨، ص ٢١٨-٢١٩ .
- ج ١٢، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الفرق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح ٢١- (١٤٢)، ٢٢، ص ٢٩٦-٢٩٧ .
- سند الدارمي، ج ٢، كتاب الرقاق، باب في العدل بين الرعية . ح ٢٧٩٦، ص ٤١٧ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٢٥- ح ٢٠٣١٢، ٢٠٣١٤ .

### - الراوي :

- معقل بن يسار المزني، المزني البصري - رضي الله عنه - من أهل بيعة الرضوان، له عن النبي ﷺ، وعن النعمان بن مقرن .

حدث عنه عمران بن حصين، مع تقدمه . والحسن البصري وأبو المليح بن أسامة، ومعاوية بن قرة المزني، وعلقمة بن عبد الله المزني وآخرون . قال محمد بن سعد : لا نعلم في الصحابة من يكنى أبا على سواه . مات بالبصرة في آخر خلافة معاوية (١) .

### - المعاني اللغوية:

رَعَى يَرَعِي رَعًى ورعاية ومَرَعَى، رعت الماشية الكلاً: سرحت فيه وأكلته .  
- استرعى استرعاء الماشية: طلب أن يرعاها، واسترعاه ماشيته: طلب منه أن يرعاها له . ومنه المثل «من استرعى الذئب فقد ظلم» يضرب لمن يأتمن الخائن .

- قال ابن بطال هذا وعيد شديد على أئمة الجور، فمن ضيع من استرعاه الله، أو خانهم، أو ظلمهم؛ فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة . فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة ومعنى (حرم الله عليه الجنة)، أي أنفذ عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين .

وقوله (وهو غاش) قيد للفعل مقصود بالذكر، يريد أن الله إنما ولاه على عباده ليديم لهم النصيحة، لا ليغشهم حتى يموت على ذلك .

### - بين الراعي والرعية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢) .

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٧٦ .

(٢) سورة النساء: ٥٩ .

النص القرآني يجعل طاعة الله أصلاً، وطاعة الرسول هي أصل كذلك بما أنه مرسل منه، ويجعل طاعة أولي الأمر في حدود المشروع المفروض من الله، وفي الصحيحين من حديث الأعمش «إنما الطاعة في المعروف» وفيهما من حديث القطان «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية»<sup>(١)</sup>. فإذا أمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة. عن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله ﷺ اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»<sup>(٢)</sup>.

وظل الإسلام يبين أهمية الأمير والمسؤول، ويوضح مدى صلاحيته في الحكم بين الناس لتكون الأمور معروفة والحدود معلومة، حتى تسير سفينة الحياة على هدى وبصيرة، وحتى يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً مثاليًا. كل واحد يعرف مدى مسؤوليته ويعرف أمانته، ويعرف كيف سيحاسب عليه في الدنيا والآخرة، ومن هنا أعطى الأمير حقه. عن ابن عباس، قال النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية»<sup>(٣)</sup>.

وأعطى الإسلام للأمير أهميته وحمله مسؤولية الأمانة والنصح والإخلاص مع رعيته بكلمات واضحة، وبعبارات مثيرة. قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة. وبهذا يجعل الإسلام كل فرد أميناً على شريعة الله وسنة رسوله ﷺ، أميناً على إيمانه ودينه،

(١)، (٢) فتح الباري، ج ١٣، كتاب الأحكام. باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية،

ص ١٢١.

(٣) المصدر السابق.

أميناً على نفسه وعقله، أميناً على جماعته ورعيته، أميناً على مصيره في الدنيا والآخرة. وهذا الحديث لقطة جميلة من لقطات الأمانة. ومعقل بن اليسار المزني صحابي جليل مشهور، مرض مرضاً خطيراً، فظل يفكر كيف يؤدي أمانته من قول وفعل؟ وكيف يؤدي أمانة حديث رسول الله ﷺ إلى المسؤولين، وفي هذه اللحظة يدخل عليه عبيد الله بن زياد أمير البصرة في زمن معاوية فبلغ هذه الأمانة. وفي رواية لمسلم قال لـ (عبيد بن زياد) إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، يقول: «ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة». وفي قوله: «لو علمت أني بي حياة ما حدثتك» يحتمل أنه كان يخاف على نفسه قبل هذا الحال، ورأى وجوب تبليغ العلم الذي عنده، لئلا يكون مضيعاً له. والموقف يصور مدى أمانة الكلمة وأهميتها. قيل: سبب ذلك هو ما وصفه به (عبيد الله بن زياد) الحسن البصري من سفك الدماء. فكأنه كان يخشى بطشه، فلما نزل به الموت أراد أن يكف بذلك بعض شره عن المسلمين (١).

والحديث يوضح مدى مسؤولية الوالي ومدى أمانته، وقد ورد في ذلك أحاديث أخرى. وخصص ابن تيمية - رحمه الله - كتاباً قيماً في الموضوع بعنوان: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، وذكر فيه قول النبي ﷺ «من ولي من أمر المسلمين شيئاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين». رواه الحاكم في صحيحه. وروى بعضهم أنه من قول عمر لابن عمر، وروي ذلك عنه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا لَمُودَّةً، أَوْ قَرَابَةً بَيْنَهُمَا. فَقَدْ خَانَ اللَّهَ

---

(١) فتح الباري، ج ١٣، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعيته فلم ينصح، ص ١٢٧، وصحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ كتاب الإمامة باب فضيلة الإمام، ص ٢١٤ - ٢١٥.

ورسوله والمسلمين». ويقول ابن تيمية تعليقاً على هذا الحديث : فيجب البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان والقضاة، ومن أمراء الأجناد ومقدمي العساكر الصغار، وولاة الأموال من الوزراء والكتاب . . . إلخ . وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب وأن يستعمل أصلح من يجده، ويتتهي ذلك إلى أئمة الصلاة والمؤذنين والمقرئين والمعلمين وأمراء الحج . . . إلخ .

فيجب على كل من ولي أمراً من أمور المسلمين من هؤلاء وغيرهم أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه، ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية .

فإن عدل عن الحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء صداقة، أو موافقة في بلد، أو مذهب وطريقه، أو جنس كالعربية أو الفارسية، أو التركية والرومية، أو الرشوة بأخذها من مال، أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه يكنه للأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ <sup>(١)</sup>، صورة تطبيقية للمسؤولية . بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عن ما أدرك (من هذا الموضوع) فقال : أدركت عمر بن عبد العزيز ف قيل له : يا أمير المؤمنين أفقرت أفواه بيتك من هذا، وتركتهم فقراء ولا شيء لهم، فقال : أدخلوهم علي ، فأدخلوهم وهم بضعة عشر ذكراً ليس فيهم بالغ، فلما رأهم ذرفت عيناه، ثم قال : يا بني ما منعكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما

(١) سورة الأنفال : ٢٧ .

أنتم أحد رجلين، إما صالحٌ، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله قوموا عني. قال: فلقد رأيت بعض ولده حمل على مائة فرس في سبيل الله، يعني أعطاه ليغزو عليها». هذه بعض بركات وثمرات أمانة المسؤولية، والعدل بين الرعية في الدنيا، وأما الآخرة فأمرها إلى الغني الكريم، وإلى جنات النعيم.

وما أحوج المسؤول أن يقف أمام هذه الأحاديث والآيات، وأمام هذه القصة وقفة المتأمل البصير، والسعيد من وعظ بغيره.

وقد أكد رسول الله ﷺ على أن المسؤولية أمانة يجب أداؤها في مواطنها مثل ما تقدم. وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: وما تضييع الأمانة؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله».

#### - قصة أخرى تمثل معاني الرعية :

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية فقال: السلام عليك يا أيها الأجير، فقالوا: قل السلام عليك أيها الأمير، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل السلام عليك أيها الأمير، فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول، فقال: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها. وكأنه يشير إلى حديث الرسول: «ما من راع يسترعيه الله على رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لها إلا حرم الله عليه الجنة».

وهذا ظاهر في الاعتبار، فإن الخلق عباد الله، والولاية نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الولاية والوكالة! ثم الوالي والوكيل متى استتاب في أموره رجلاً وترك من هو أصلح للتجارة، فقد خالف مفهوم الحديث<sup>(١)</sup>.

(١) راجع كتاب: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لأبي العباس أحمد ابن تيمية، القسم الأول، الولايات من ص ١٨ إلى ص ٢٤.

## - فقه الحديث:

(١) وجوب النصيحة على الوالي لرعيته والاجتهاد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم .

(٢) وجوب تبليغ العلم قبل موت العالم لئلا يكون مضيعة .

(٣) الوالي والوكيل متى استتاب في أموره رجلاً وترك من هو أصلح للتجارة، أو العقار منه، أو باع السلعة بثمن، وهو يجد من يشتريها بخير من ذلك الثمن، فقد خان صاحبه (١) .

## - ما يستفاد من الحديث:

وقد دلت السنّة على أن الولاية أمانة يجب أدائها، وإلى هذا يشير النبي ﷺ لأبي ذر - رضي الله عنه - في الإمارة وأنها أمانة، وأنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها (٢) .

الحديث يشير إلى أن الخلق عباد الله، والولاية نواب الله على عباده، وهم وكلاء . فينبغي على المسؤولين تحري الدقة والأمانة في اختيار الوكلاء والنواب، والاجتناب عن مفاهيم الفسق بقدر ما يستطيع المرء، والله الموفق .

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، ص ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، ص ٢٠٨ .

## الحديث الثلاثون: عظم المسؤولية والأمانة

حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ . حدثنا وكيع بن الجراح . حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عَدِيٍّ بن عَمِيرَةَ الكِنْدِيِّ ، قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : من استعملناه منكم على عمل ، فَكَتَمْنَا خِيَطًا فَمَا فَوْقَهُ ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . قال : فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال : يا رسول الله ! اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَك . قال : «وَمَا لَكَ ؟» . قال : سمعتك تقول كذا وكذا . قال : «وأنا أقوله الآن . من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره . فما أُوتِيَ منه أخذ . وما نُهِيَ عنه انتهى» .

### - تخريج الحديث:

- صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ، كتاب الإمامة - باب تحريم هدايا العمال - ج ٣٠ ، (١٨٣٣) ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج ٨ ، كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب في أرزاق العمال ، ج ٢٩٤١ ، ٢٩٤٢ ، ٢٩٤٣ ، ص ١١٤ ، ١١٥ . ج ٩ ، كتاب القضاء ، باب في هدايا العمال ، ج ٣٥٧٦ ، ص ٣٦٠ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٤ ، ص ١٩٢ .

### - المعاني اللغوية:

غَلَّ غَلًّا فِي الشَّيْءِ : أدخله غلًّا في المفاضة أي دخلها ، الشيء أخذه في خفية ودسه في مقاعه ، وغل الماء بين الأشجار أي جرى ، وغل الغلالة أي لبسها ، وغل يده : وضع يده أو عنقه في الغل . كَتَمْنَا خِيَطًا : بكسر الميم وإسكان الخاء وهو الإبرة .

## - الراوي :

عدي بن عميرة الكندي صحابي معروف ، يكنى أبا زرارة ، له أحاديث في صحيح مسلم وغيره ، روى عنه أخوه العرس وله صحبة .

## - قصة إسلامه :

كان عدي - رضي الله عنه - يعيش بين قومه وقبيلته ، وكان في تلك البقعة بعض أحبار اليهود يتحدثون عن النبوة والأنبياء ، وكان من بين هؤلاء الأحبار حبر يهودي يعرف بابن شهلاء . فقال لعدي بن عميرة : إني أجد في كتاب الله أن أصحاب الفردوس قوم يعبدون ربهم على وجوههم . ثم أردف قائلاً : لا والله ما أعلم هذه الصفة إلا فينا معشر اليهود ، وأحد بنهم فلا يرى أنه يخرج إلا منا . قال عدي : « فوالله ما لبثنا حتى بلغنا أن رجلاً من بني هاشم قد تنبأ فذكرت حديث ابن شهلاء فخرجت إليه فإذا هو ومن معه يعبدون على وجوههم » . فكان اختلاط عدي بن عميرة بأحبار اليهود والاستماع إلى حديثهم سبباً مباركاً لقبوله هذا الدين ولتشريفه بمبايعته للرسول ﷺ . وعاش فترة طيبة من الزمن .

## - وفاته :

قال الواقدي : مات بالكوفة سنة أربعين ، وقال أبو عروبة الحراني : كان عدي بن عميرة قد نزل الكوفة ، ثم خرج بعد قتل عثمان إلى الجزيرة فمات بها<sup>(١)</sup> .

## - المعنى العام :

حين كان الإسلام يربي هذه الأمة المسلمة ويثبت الملامح الإسلامية

---

(١) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، م ٢ ، حرف العين ، القسم الأول ، ص ٤٧٠ - ٤٧١ .

الجديدة، بدأ بطمس ومحو ملامح الجاهلية، وهدم تقاليدها. قال معقل بن يسار الأنصاري في مرضه:

إني محدثك (لعبيد الله بن زياد) بحديث لولا أُنِي في الموت لم أحدثك:  
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أمير يلي أمر المسلمين لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة»<sup>(١)</sup>. بهذه الطريقة خاض الإسلام بالمؤمنين معركة الإصلاح في مواجهة العادات السيئة الراسخة في النفوس والقلوب، ومن هذه العادات المكاسب المادية واستغلال المناصب، فعن معقل أيضًا أُنِي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». وهي معانٍ جديدة، وقيم سامية لم تعهدها البيئات القديمة، ولذلك كانوا يستصعبون تطبيقها، فوضح القرآن مهمة الرسل لهذه النفوس قائلاً: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾<sup>(٢)</sup>. فلا يكفي لإيمانهم أن يتحاكموا إليه ليحسبوا مؤمنين فقط، بل لا بد أن يتلقوا حكمه بكل معاني الرضا والاستسلام، ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾<sup>(٣)</sup>.

وظل النبي ﷺ يغرس هذه المفاهيم في المناسبات، «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة». والغلول هو ما أخذه المكلف ووضعه في متاعه، وأصل الغلول الخيانة مطلقاً، ثم غلب اختصاصه في الاستعمال بالخيانة في الغنيمة. وكانت لهذه الكلمة القوية تأثيرها البالغ في نفوس المسؤولين نظراً لحساسيتها وخطورتها. فقال رجل أسود من

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق، ص ٢١٥.

(٢) سورة النساء: ٦٤.

(٣) سورة النساء: ٦٥.

الأنصار: يا رسول الله اقبل عني عملك، قال: وما لك، قال: سمعتك تقول كذا وكذا». وكأن الصحابي الأنصاري لم يكذب يتصور كيف يتحمل هذه الأمانة، وقد تعودت البيئة على التساهل في أداء الأمانات، وشعر الصحابي الجليل أنه قد يضعف أمام هذه الأمانة. فأراد أن يرتاح، ولكن الرسول المربي استدرك قائلاً: «وما لك؟»، وكأنه يستثير همته ويؤكد هذا المعنى ويطلب منه تغيير المفاهيم القديمة نحو الأمانة واستبدال المفاهيم القرآنية الربانية بها، وكأنه ﷺ يطلب من الأمة أن تتحمل هذه الأوامر وتلك التكاليف. فقال صراحة: وأنا أقوله الآن: «من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره». وإلى مثل هذا يشير القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١).

وقد عالج الإسلام مفاهيم الغلول معالجة شاملة، وفي مواقف متعددة؛ فعن أبي مسعود الأنصاري قال: «بعثني النبي ﷺ ساعياً، ثم قال: انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غَلَلْتَهُ قال: إذا لا أنطلق، قال: إذا لا أكرهك» (٢).

ومن شمولية العلاج أن الإسلام أعطى للمسؤولين بعض الامتيازات الاقتصادية والأدبية ليسمو عن هذه الأمور. عن المستور بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، وإذا لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً، قال

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) مختصر سنن أبي داود، للمنذري، ص ٢٠٣، باب غلول الصدقة، ج ٤. ط المكتبة الأثرية - باكستان.

أبو بكر: أخبرت أن النبي ﷺ قال: «من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق»<sup>(١)</sup>.

والحديث لفئة تربوية جميلة في تربية الحاكم المسؤول تربية شاملة لتفهم معاني الأمانة وإدراك مسؤولية الحكم ومتطلباته، كما هو تربية لرفع مستوى الحاكم في الأمور الاقتصادية والاجتماعية. ومحاولة جميلة عن إبعاده عن وسائل الإغراء، وسد أبواب المزالق، ورفع مقامه في نظر الناس ودرجته عند الله.

ومن هذه الوسائل التربوية أن الإسلام وضع الفرق بين الهدية والرشوة.

### - بين الهدية والرشوة:

والهدية للمسؤول باب من أبواب الغلول، ولذلك وقف لها الإسلام بالمرصاد. وعالج هذا الموضوع وأزال اللبس والغش. حدثنا هشام عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال: «استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن الأتية (ابن اللثبية)، فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم، وهذا هدية، فقال رسول ﷺ: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى يأتيك هديتك إن كنت صادقاً، ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً. والله لا يأخذ منكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمل يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رُغَاءً، أو بقره لها خوار، أو شاه يتعر، ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠١، باب في أرزاق العمال.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢، باب تحريم هدايا العمال، ص ٢٢٠.

هذه مواقف تربوية مشهورة تبين مدى حرص الرسول ﷺ على غرس القيم السامية ومعاني الأمانة والإخلاص في العمل ، ومعاني الحرص على المصلحة العامة لابتعد المسؤول عن الشبهات والمزالق ويكون نموذجاً يحتذى به ، ومثالاً يقتدي به الجمهور ، وينظر إليه نظرة الاحترام والتقدير .

#### - ما يستفاد من الحديث:

- ١ - توجيه الراعي لرعاياه أمر طيب وعمل مفيد يخدم المجتمع الإسلامي ويرتقي بحكام المسلمين .
- ٢ - سد باب الذرائع وقطع السبل التي يدخل منها الشيطان على الراعي لإفساد عمله وتحريم معيشتة .
- ٣ - تهذيب النفوس والتزام الصحابة بالمنهج القويم أضواء لهم الطريق وحقق لهم الغايات المنشودة .
- ٤ - ينفر الحديث من الخيانة ويبعد المسلم عن الشبهات .

#### - فقه الحديث:

- ١ - يوضح الحديث : أن هدايا العمال حرام وغلول ؛ لأنه خان ولايته وأمانته كما يبين ﷺ السبب في تحريم الهدية عليه وأنها بسبب الولاية بخلاف الهدية لغير العامل ، فإنها مستحسنة .
- ٢ - في هذا بيان أن هدايا العمال سحت ، وأنه ليس سبيلها سبيل سائر الهدايا المباحة ، وإنما يهدى إليه للمحاباة ، وليخفف عن المهدي ويسوغ له بعض الواجب عليه ، وهو خيانة منه ، ونجس للحق الواجب عليه استيفاءؤه لأهله (١) .

---

(١) مختصر سنن أبي داود للمنذري ، ج ٤ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، باب هدايا العمال .